البحر يصدّر للعالم سفن العشاق

وأطل يلوحّ بالكفين
نسراً
تشتعل الأحداق على شرفته
الجبلية
فيقوم العشب
وخيط الشمس
وجدول أسماء القتلى
تسجد للكلمات المقروءة
والمسموعة
والمرئية
قل . . . .
مَنْ عسكر في ضاحية
الأشجار
وضيّق سبل العيشِ
على الطرق السالكة
الممنوعة
والـ . . . . .
ما بين الاثنين
الوسط . . .
أقسم بالأوراق البيضاء
حمامة قلبي
وأنا أضحك في وجه
الأطفال
أمقت أن تخفق
سارية الوسط
على قمم المسحوقين
أصحاب الأقساط اليوميّة
والشهرية والسنوية
والـ . . . .
أعرفه
وأجول بخاطره المسكين
شرارة صمت
أرفع كأس السم
طواعية
سقراطٌ مات
ولم تسقط
مدرسة أسّسها المنطق
والعقل
سحابة صيف عابرة
نزفت في موقده الجمريّ
ساقية من بين طلول الصخر
انبجست عيناها
تعرفه . . .
وتقول أمام حشود الناس
بشطريها
الحضر . . . البدو
نعم أعرفه . . .
وتمرّ على الجسد العريان
سوى من كسرة قطن
وإذا شئت قماشة طفل
بليت من تجوال سواعده الغضّة
عافية الأفراح السنوية
تعرفه . . .
ويردّ الجسد المستلقي
فوق بساط الجذع الشجري
السامق مدفأة
نعم أعرفه . . .
أعرف فيه الأرض
وقد أجّجها المحراث
فشبّت
تمطر أغصان الحقل ثماراً
في وجنتها القمرية
يسكن عشق كنعانيّ
أعرف فيه الأنهار
وقد سمحت حوريّات المطر
لمجراها
أن يشرع نافذة للمطلق
قوساً
يسند ظهر العالم
فوق الكتفين
وتمرّ على الجسد العابق
باللون الأحمر
لا أقصده مقتولاً
تقصده . . . ؟
لا أقصده أيضاً
ويحرك من قامته الأسطورية
شفة
تتقن أبسط لغة يعرفها
الفلاّحون، العمال، صغار الكسبة
أعرفه . . . وأقول لكم:
ما بين الحطبة تغلي
في موقد قريتنا
فيؤجّ الشرر الجمري دراكاً
والغرسة تفصح عن قامتها.
الجبلية رشّاً
أرجوحة قلب
ما بين الساعة
والعقرب في القفص البلّوريّ
يشير إلى الرقم الصفر
وسقط متاع السابلة
من الأوراق يهشّ
رصاصة موت
أعرفه . . . . وأقول لكم:
لا أعرفه
وتجيء من القارورة
دفقة حمّى مرهقة
تعرفه . .
وتقول أمام حشود الناس

بشطريها . . الحضر . . . البدو
نعم أعرفه . . . أعرفه
وإذا شئتم
والروح تيمّم شطر المطلق
أيضاً أعرفه
اسم تخجل قائمة الأسماء
أخصّ العربية وهي تفتّش
عن صيد
أن تنبس حرفاً في صومعته
رقم تصغر كل الأرقام
أمام طلاقته
طقس لا تسمع أشواق مواجده
الأوراق
وأسطحة القلب
وسيف أشعله المقبض
مرّ على الجسد المسفوك
دماء
قبلات
أرصفة
يستجدي في حضرتها الله
زبانية جهنم
تعرفه
قُلْها
قبل فوات الساعات
وعانق أفراح الزوجة
والأولاد الرضّع
والسقف السادر ولهاً
إلّا من رشقات القصف الجويّ
الرعد الشتويّ
لا أعرفه . . .
وغلاء فلسطين بقلبي
أعرفه . . . وأقول لكم :
لا أعرفه
وتجيء الصاعقة الأولى
فتصمّ ـ من الجسد المستشري
رائحة كشواء الحارات
الشعبيّة ـ أذناً . . .
كانت تلتقط بقايا ذبذبة
الأصوات الليلية
في أقصى حالات الرصد
العاشق
لا أعرفه . . .
وتجيء الصاعقة الأخرى
فتشلّ من الجسد المصبوغ
بحمرته الشفقية
أصبعة
تتقن لفظتها اللائية
وتجيء الصاعقة الرابعة ،
الخامسة ، السابعة ، الألف
أخطأت من الأرقام العدّ
أقول : العدد
ومن الفرحة طلّتها الشمسية
في فصل طفولتي الأولى
وتجيء الصاعقة الموقف
يجأر في صلف
قف
أعرفه . . .
رجل من أرض فلسطين
اللوحة لا أرشق في عينيه
حركات اللون
سموّ الخط
طلاقة مبسمه الرافض
مستندات الأرجل
والقابض على رجليه
وعصر السَفَلة
يتوالد كدجاج القرية
جوهرة
أرقى من قسمات القمر
على سفح الأفق الشرقيّ
مساءً
أقسم بالمشهد
والمشهد أصعب أن يوصف
بالعين مجرّدة
أو بالمجهر
الماء بلا استئذان
من قصبات المرجلِ
صفق
الصرخة أكبر من
ملكوت الصالة
اختلطت أسماء التقويم
لتصحو القرية
والحقل وقد أرقه القحط
فلاة
تملؤها الجثث البشرية
والجمر المطفأ
والصرخات الاسفلتية
وسطور تشرع للجبل
المورق شبّاكاً
وحريق لا يفهم
حتى القارىء دمعته
لن يختنق الزنبق
في ساحلنا الموجيّ
ما دام البحر يصدّر
للعالم سفن العشاق
ما دام البحر يصدّر
للعالم سفن العشاق

محمود علي السعيد

وفي النهاية تصل الصحافية الايطالية إلى قرار تقول فيه (إن أروع نصب شاهدته على تلال (بيلوبونيسوس) في اليونان ليس تمثالاً منحوتاً أو علماً مرفوعاً إنه ثلاثة حروف باللغة اليونانية (أو ـ أكس ـ آي) وتعني «لا» كتبها أبطال متعطّشون للحرية خلال الغزو النازي الفاشستي ثم لطخها بالأصباغ رجال السلطة أثناء الغزو العسكري لليونان. ولكن الطبيعة بشمسها وأمطارها ورياحها ساعدت على إعادة تلك الحروف إلى الظهور مرة أخرى قوية عنيدة . . .)

أوريانا فالاتشي ـ